المحاولات الأولى لاحتلال عدن كما يرويها المؤرخ الأمير أحمد فضل القمندان في كتابه هدية الزمن في أخبار لحج وعدن

نجوى عبدالقادر

لم يجد الباحث عن احتلال عدن كتاباً آخر يضم في طياته كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة عن قصة الاحتلال البريطاني .. كما جاءت في كتاب (هدية الزمن) .

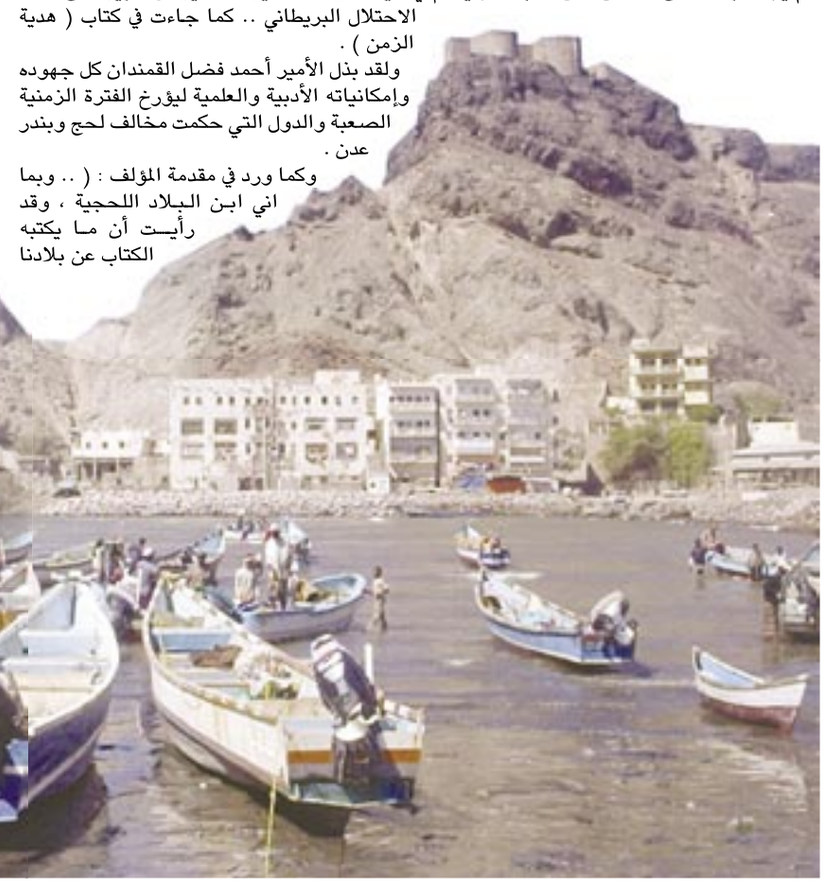

ولقد بذل الأمير أحمد فضل القمندان كل جهوده وإمكانياته الأدبية والعلمية ليؤرخ الفترة الزمنية الصعبة والدول التي حكمت مخالف لحج وبندر عدن .

وكما ورد في مقدمة المؤلف : (.. وبما اني ابن البلاد اللحجية ، وقد رأيت أن ما يكتبه الكتاب عن بلادنا لايخلو من الأغلاط الخفية والجلية ، طالعت الأسفار وتحققت الأخبار ، وتحريت أنباء الصغار والكبار ، فأبنت عن واهيها ومكذوبها ، وعلى حد المثل فإن أهل مكة أدرى بشعابها ، وقد لاقينا في جمعها من مشقة الحصول على بعض التواريخ اليمنية القلمية وصعوبة قراءة مخطوطها إما للقدم او لأنها غير منقوطة ولا مشكوله ، وذلك ما يشكو منه الكثير من قراء التواريخ اليمنية المخطوطة) .

والقارئ (لهدية الزمن) سيجد مادة شائقة وممتعة ومفيدة معاً ذلك أن القمندان لم يترك شاردة ولا واردة عن تاريخ لحج وعدن الا ضمها في كتابه والذي يحوي في طياته عدة فصول مهمة ولعل أهم فصل فيه هو الفصل الثاني عشر وفيه يتحدث المؤرخ عن دولة الأتراك في لحج وعدن وطمع البرتغاليين في عدن .. وثورة العدنيين على الأتراك والمحاولات الأولى في احتلال عدن .. ثم وصول أول سفينة بريطانية إلى عدن .. وغيرها من الأحداث الداخلية والفتن والمناوشات التي أضعفت الحكام والأمراء والسلاطين في جميع مناطق اليمن .

اما الفصل الثالث عشر : فيتحدث فيه عن المحاولات الفرنسية ، مطامع نابليون بعد أن قدمت البعثة الفرنسية إلى عدن وانشغال البلاد العربية بالحملة الوهابية والتصدي لها .. وهذا ما جعل الطريق ممهداً لاحتلال عدن بعد محاولات يائسة من قبل الانجليز والفرنسيين وكان قد سبقهما البرتغاليون .

وكما يؤكد لنا المؤلف أن الفتن الداخلية بين سلاطين لحج والمناطق المجاورة لها وحكامها .. كانت قد أضعفت المقاومة الصارمة لهذا الاحتلال البريطاني ناهيك عن المنازعات القبلية والحروب الطائفية بين الشافعية والزيدية .

ويستمر الأمير أحمد فضل القمندان بسرد هذه الأحداث الداخلية .. واستغلال الانجليز لهذه الفتن والمنازعات حتى بدأت تتوغل في المناطق اليمنية الواحدة بعد الأخرى من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي كان الانجليز يعقدونها مع السلاطين والأمراء والمشائخ بغرض الحماية وممارسة السياسة الاستعمارية المعروفة بشتى أساليبها المقنعة والمفرقة بين اليمنيين .. حتى أصبحت الولايات والمخاليف اليمنية جميعها تحت حماية هذه المستعمرة البريطانية التي ربطت جنوب اليمن بمستعمرتها الهندية لفترة طويلة من الزمن .

ويكشف لنا المؤرخ جانباً كبيراً من الأحداث المهمة التي مرت بها منطقة لحج في جنوب العالمية الأولى وكيف تعرضت هذه المنطقة للاحتلال التركي من قبل علي سعيد باشا ، وما قاسته هذه المنطقة وأهاليها من ويلات الحرب العظمى .. وما تعرضت له من الأوبئة والمجاعات والتشرد وهدم المنازل والمساجد ولم تمتد يد الحماية البريطانية إليهم رغم المعاهدات الودية بين بريطانيا وسلاطين لحج .. ويصور المؤلف ايضاً حالة البؤس والذعر والدمار التي لحقت بلحج وأبنائها واراضيها الزراعية ومواشيها نتيجة مهاجمة الأتراك قراهم الآمنة .. واكتفت بريطانيا بحماية منطقة عدن والمناطق التابعة لمصالحها حول مدينة عدن .. وكان الاتراك في الحرب العالمية الأولى كما نعرف في صف المانيا وحلفائها .. اما بريطانيا وفرنسا فقد كانت في الصف الآخر .. ورغم وقوف بريطانيا موقف المتفرج في هذه الحرب التي شنها الأتراك طمعاً منهم في احتلال البلاد العربية وامتداد طموحهم إلى احتلال الصومال والدناقلة اذا تم النصر لالمانيا .. الا أن سلاطين لحج والقبائل اليمنية المتحالفة معهم قاومت الاحتلال التركي مقاومة عنيفة وعاد الأتراك من هذه الحرب بخسارة كبيرة وهزيمة أكبر عندما أضعفت المانيا وحلفاؤها في نهاية الحرب العالمية الأولى .

وما يميز كتاب (هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن) أنه يؤرخ للتاريخ القريب والبعيد في الزمن الذي عاصره القمندان .

أما التاريخ القريب فقد عمد المؤلف إلى الرواية الإخبارية والشفهية التي لجأ إليها لتدوين تاريخ لحج وعدن من السنة الشيوخ الكبار في السن وهنا يعتمد في الرواية الشفهية أكثر من مصدر ، أكثر من شخص واحد .. وعند اتفاق الرواية يعتمدها كمصدر من مصادر جمع المعلومات .

هذا بالاضافة إلى المراجع المطبوعة والمخطوطة والوثائق الرسمية المخطوطة والوثائق التركية بلغتها والوثائق الانجليزية المترجمة ويلحق بالمراجع مجموعة الجداول الزمنية والمكانية وجدول لولاة عدن من قبل بريطانيا وجدول بترتيب سلاطين لحج ، وعدن ودولها المتعاقبة على الحكم قبل الاحتلال ، ثم جدول بأشهر القبائل والعائلات اللحجية .

ورغم ما يحتويه الكتاب من فصول مهمة تاريخ لحج وعدن الا أن ما نرصده هنا إشارة الكتاب إلى تاريخ الاحتلال البريطاني لمنطقة عدن والمحاولات الأولى التي سبقت احتلال عدن وتوسع بريطانيا إلى المناطق الجنوبية بغرض الحماية أو تأمين مصالحها واستغلال خيراتها الزراعية وبسط نفوذها على أهم ميناء تجاري في طريق الملاحة البحرية .

التمثيل الصامت

إعداد / أمل حزام

إن التمثيل الصامت يلعب حالياً دوراً أساسياً في تكوين اللوحات الخلفية في الرقص والغناء والمسرح لتصبح هذه اللوحات ذات معنى ومضمون يجبر المتفرج الدخول في عالم الجمال والألوان والاضاءات والديكورات والموسيقى تحت إيقاع رائع يتزامن مع اللوحات الخلفية حتى في تزيين ودعم الفنانين ، هكذا نعود بكم إلى القرن الخامس قبل الميلاد أول ظهور لهذا الفن الراقي والذي كان له تأثير على الكوميدي في أثينا عالم المسارح والفن والتمثيل وليصبح التمثيل الصامت معروفاً في عهد الرومان كأبسط صورة من صور التسلية الدرامية المعروفة في الأزمنة الكلاسيكية وأكثرها استمراراً وبقاءاً مع العلم أنه كان يوجد في جميع أنحاء العالم القديم مهرجون ولاعبو سيرك وأكروبات يتجولون حول العالم ويستعرضون فنونهم ومهاراتهم في الأسواق والشوارع والقرى الريفية والساحات العامة لأحياء الحفلات وتقديم العروض المختلفة والشيقة في الأعياد والمناسبات الأخرى . وبالرغم من قسوة الحياة آنذاك الا ان الناس كانوا يحبون الفن وكانوا يوفرون النقود لدخول المسارح للاستمتاع بالفن والتمثيل .

وفي القرن الأول أعطى الكاتب ديسيموس لابريوس لهذا التمثيل الصامت إيقاعه وشكله الأدبي حتى أصبح مشهوراً في تقديم التمثيلية الصامتة وابرع فيها كثيراً ، وبالذات في مهرجان فلورا نيا السنوي الصيفي ونجح نجاحاً عظيماً هذا التمثيل في تلك الفترة ولقي موضعاً واحتراماً وتقديراً من قبل الشعب الروماني والذي كان مرتبطاً بالطقوس الدينية الوثنية والتي أخذت تتوارى أمام انتشار المسيحية فكان هذا الفن على درجة كبيرة من التنوع والثراء في مجال استخدام الإيماء والحركة والإشارة ولغة الجسد ولعب دوراً فعالاً في عملية تطوير هذا الفن مع مرور الزمان ، وبعد ذلك تم تحديد الخصائص الأساسية لانطلاقة هذا الفن وتميزه في الممثل الميم والذي يطلق على الممثل والذي يقوم بادائه الصامت بحيث تم طرح بعض القواعد الصارمة بإلزام ان يتوفر عند الممثل الذاكرة الحادة والحساسية المرهفة وايضاً كان لابد من تحديد الجسم المتناسق والرشيق ليجمع بين القوة العضلية ومرونة الأطراف وحب التمثيل بالطبع فازدادت أهمية هذا الفن الرامي من خلال شعبيته والتي بلغت أقصاها في كوميديا ديللارتي او الكوميديا المرتجلة في ايطاليا في القرن السادس عشر حيث كان الممثلون يستخدمون الأقنعة والكلمة المنطوقة مع الإيماءة والإشارة ، وبعد ذلك تعرض هذا الفن للاضطهاد من جانب السلطات الدنيوية والدينية في عصور مختلفة وبالذات في العالم الغربي حينما كان يزدهر في نفس الوقت في الشرق ، وبعد مرور خمسة قرون من الحصار القاسي ولد المسرح من جديد في فرنسا وايطاليا ولكنه تغير في صور أخرى من الدراما والتي تقوم على الطقوس الدينية مثل كوميديا ابراتشا الايطالية والتي برهنت على تقديم الفنون الشعبية فيما بعد فأبتكرت مواقف ساخرة وهزلية كاريكا تورية وإيماءات وحركات هادئة إلى حدما حيث لم يمر كثير من الزمن حتى دخل عالم المسرح هذا فن الباليه وحركات الرقص الإيقاعي والذي لعب دوره الأساسي في إبراز هذا الفن في تقديم التمثيليات الصامتة حيث أحرز الممثل ديبورا شهرة عظيمة في هذا الفن ولكن أسلوب هذا الفن كان يتطلب مفردات وعناصر أفضل من السيناريوهات الشاحبة والتي كانت تقدم في ذلك الوقت كنوع من التهريج فبدأت شهرته الحقيقية في مسرحية الابن الضال ذات الفصول الثلاثة المعتمدة على الأداء الصامت واعتبر هذا التمثيل في انجلترا وفرنسا مقدمة نجاح بحيث أصبحت المدارس الحديثة في الإخراج تتضمن فن التمثيل الصامت كجزء أساسي من برنامج تدريب الممثل الشامل .. هكذا يعتبر هذا الفن اليوم قد دخل عدة تطورات تقنية للمسرح بحيث أصبح الممثل يعبر عن المعاني بالإشارة والحركة والتعبيرات الجسمانية المختلفة تحت إيقاعات موسيقية تتناسب مع السيناريوهات.

أما الممثل فيجب ان يكون قادراً على التعبير عن فكرة او عاطفة بحيث ان لا يفتقد المتفرج تقديم الكلمة التقليدية في هذا المسرح ، فدخلت الدراما والباليه والكلاسيكية والكوميديا ومسرحيات الخورات والمسرحيات الأخلاقية والأقنعة الانجليزية ومسرحيات وليام شكسبير والفرنسي موليير ثم الباليهات الروسية والتي صممها دياجيلين ، فظهرت إحدى الفرق العالمية فرقة فروتسلاف للمسرح البولندي في تقديم فن البانتوميم فأصبح هذا الفن يملك تكنيك البانتوميم وفلسفته والرقص القومي والشعبي كمسرح الكابولكي الياباني إلى جانب دراسة الحضارات الإنسانية القديمة والتي نشأت فيها الملاحم والأساطير والموروثات الإنسانية وحققت عدد كبير من الميداليات الذهبية في عدة مهرجانات عالمية أقيمت في موسكو وباريس وهكذا أصبح هذا الفن يعكس هموم الإنسان القديم والحديث بصورة لا تخلو من إسقاط معاصرة سلبية الحروب والدمار والتي تخلفه في حياة الإنسان .

مفارقات الحياة الآملة .. والموت المجاني

شفاء منصر

ترى كيف يكون القتل جميلاً كالحياة !!
وجنون الرصاص ، المنهمر فوق رؤوسنا ، كيف يكون؟ كإيقاع المطر!!
وكيف تكون قاذفات الموت العابرة في سمائنا كغيوم الخريف !!
وطوفان الجراد كفراشات الربيع الناعمة !!
أنا لا أفهم كيف يكون الاحتضار كالولادة العسيرة !!
والمذابح المتوالية كالاحتفالات البهيجة
وبرق الصواريخ كصهد الشمس اللافحة !!
لا أفهم كيف يستعير الغزاة مفردات اللغة الشاعرية ليغطوا ببهائها جرائمهم البربرية ؟!!
وكيف يقتبسون من دورة الحياة في الفصول الأربعة " أسباباً لموت جديد " ..
ولماذا يلوون أعناق الكلمات ليقنعونا بأن الرماد يشبه التراب ؟!
وأن الدم المهدور من شرايينا المذبوحة يشبه ماء الورد؟!
وانتحاب الثكالى وصرخات الصغار الخائفين كهديل الحمام !!
كل ما أعرفه أن اللغة تتسخ إذا مالمسوها ..!!
وتصبح لغة كاذبة مخادعة !
وإن المدن التي يتضوع منها عطر ذكرياتنا الماضية يلتهمها الرماد وتنتمي للعدم !!
كلما وطئتها أقدام حقدهم الدفين الممتد إلى ألف ألف عام !!
وعبثا ستشرح الأمهات للصغار في المدن التي ضاعت منا بعد أن أعلن الطغاة موت الفصول بأن الخريف سيأتي كعهده يعري الشجر
ليفرش الساحات والدروب تحت أقدامهم بسجادة ذهبية من أوراقه الذابلة !!
وإن الشتاء القارس سيرد الصغار إلى أحضان أمهاتهم المتعبات
" كأفراخ الحمام " ليتدثروا بالدفء والحنان ..!!
لحين يأتي الربيع حبيب البلابل والأقحوان
وأن الصيف سينفجر ياسمينا وفلا
على الجدران والشرفات ويغرق الأجواء بغيم من عبير ..
لكن الصغار سيحتارون طويلا ، ولن يصدقوا كلمة واحدة مما يقال ..
لأن لون المطر الذي يذكرونه لا يشبه قطرات الندى !!
وبرق الصواريخ الذي يخلع قلوبهم هلعاً في المساءات الموحشة لا يشبه الألعاب النارية التي (تتفتح)
في السماء كالنجوم المضيئة في الأعياد الوطنية !!
ورعد الإنفجارات التي تطلقها مدافعهم لتحرق كل شيء لا تشبه صوت الرعد الذي يمتطي صهوة الغيوم
ويطلق (قذائفه) مطراً حنوناً على الأرض العطشى والمحرومة !!
كل ما يذكرونه أن الربيع لن يأتي ليشعل الشجر بالخضرة والفتنة الزاهية!!
" لأن الورد لا ينمو مع الدم والحديد "
وأن الفصول تشبه بعضها إلى حد الفجيعة والضجر !!
لأن الغزاة اختزلوا أسماءها كما اختزلوا كل شيء في حياتنا
بفصل واحد سموه مجازا ..
فصل المجازر الرحيمة !!

إعلان